الجزء الخامس من السنة الثانية

ترجمة برنارد بالسي

ذكرنا في الجزء الماضي طرفًا من ترجمة بالسي وما عاناهُ من المشقات سنين عديدة الى ان اكتشف الدهان المطلوب . فاستاجر حينئذٍ فخارًا ليصنع له آنية خزفية واعطاهُ قسمًا من ثمنها اجرةً واتفق مع صاحب معمل على ان يعولهُ هو وعائلتهُ ستة اشهر الى ان يبيع الآنية التي يصنعها ويفيهُ . ثم بنى اتونًا على شكل منتظم ولسوء حظهِ بطن قسمًا منهُ بحجارة صوانية فحالما اضرم النار فيهِ تشظّى الصوان وطارت شظاياهُ الى الآنية وعندما تمّ شيها واخرجت من الاتون كان الدهان ذائبًا عليها حسب بغيتهِ الاّ انهُ كان مخشنًا ومشققًا ممّا لحقهُ من الصوان فخسر تعب ستة اشهر ولكنّ الناس اقبلوا عليهِ راغبين في ابتياعها فلم يبعهم اياها زاعمًا ان ذلك يعطل اسمهُ . وممّا قالهُ في وصف حالتهِ حينئذٍ الكلام الآتي : اني مع كل ما المّ بي لم يزل رجائي قويًا واملي وطيدًا ابشُّ في وجوه الناس اذا زاروني واطايبهم في الكلام وقلبي ملآن كآبة وغمًا واصعب ما قاسيت منهم اهل بيتي عليّ وازدراؤهم بي . كانت أُتني مكشوفة سنوات عديدة وانا واقف امامها تحت رحمة العواصف والامطار بلا معين ولا مسلٍّ سوى مواء القطاط وهرير الكلاب حتى اذا ثارت الزوابع ولم اعد اطيق القيام امامها اهرول الى بيتي مبلّلاً بالامطار ملطخًا بالاوحال مترنحًا من النعاس ترنح السكران فلا اجد فيهِ غير الملامة والتعيير . واني حتى الساعة لاعجب من بقائي حيًا مع كل ما قاسيت . اه

ويقال انهُ اصيب حينئذٍ بما تخولها شديدة فهام على وجههِ في القفار القريبة من سنس بثياب ممزقة كانهُ هيكل من عظام . ومن قولهِ بهذا المعنى قد ذاب لحم ساقيَّ حتى اذا ربطتُ جواربي تحت ركبتيَّ وشبت سقطت الى المخلخل وما زال اهلهُ وجيرانهُ يعيّرونهُ ويستهزئون بهِ حتى رجع الى صناعتهِ الاولى وعمل فيها نحو سنة من الزمان فاصلح شانهُ وسكّت عنهُ السنة الناس ثم عاد الى عملهِ المحبوب ولم يزل يجرب فيهِ ويمحن حتى اتقنهُ غاية الاتقان في مدة ثماني سنوات مع انهُ اضاع في اكتشافهِ عشر سنين . فتعلم في مدرسة الاختبار ماهية الدهان والاتربة المناسبة لعمل الخزف وكيفية بناء الاتون . وبعد ان مضى عليهِ ست عشرة سنة يتعلم في مدرسة الاختبار اجترأ ان يدعو نفسهُ خزّافًا وصار يبيع مصنوعاتهِ بثمنها ويعول عائلتهُ بالترفه . ولكنهُ لم يكتفِ بما وجدهُ ولم يفتر عن بذل الهمة في تحسين هذه الصناعة وايصالها الى اسمى درجاتها فدرس الكائنات الطبيعية لكي يرسم اشكالها

على مصنوعاتهِ وقد شهد له يفون الشهير انهُ كان من البارعين في علم الطبيعة . ومصنوعاتهُ تُعدُّ الآن من الجواهر النادرة وتباع باثمان تكاد تفوق التصديق فانهُ بيع في لندن منذ بضع سنين صحفة من عملهِ قطرها اثنتا عشرة عقدة بمئة واثنتين وستين ليرة انكليزية

وألَّف بالسي في اواخر حياتهِ عدة مؤلَّفات في صناعة الخزف لكي يعلم ابناء وطنهِ هذه الصناعة ويرشدهم الى تجنُّب الاغلاط التي وقع فيها هو وألَّف ايضاً في الزراعة وبناء الحصون والتاريخ الطبيعي وكتب ضد التنجيم والكيميا (بمعناها القديم) والسحر وما اشبه من الخزعبلات فهاجَ عليهِ خصومًا كثيرين اتهموهُ بالهرطقة ولم يزالوا حتى اودعوهُ السجن وهو في الثامنة والسبعين من عمرهِ . وهددوهُ بالموت اذا لم يرتد عن مذهبهِ لكنهُ كان متمسكًا بهِ كتمسكهِ بالتفتيش عن دهان الخزف فاتى الملك هنري الثالث الى سجنهِ وطلب منهُ ان يرتد عن ايمانهِ بقولهِ ايها الرجل الصالح انك خدمت امي وخدمتني خمسًا واربعين سنة وقد حميتك في وسط النيران والمذابح والآن قد الزمني الشعب وحزب كبير ان اتركك في قبضة اعدائك وغدًا تُحرَق ما لم ترتد عن مذهبك . فاجابهُ ايها المولى انا مستعد ان اسلم حياتي لاجل مجد الله ولقد قلتَ لي مرارًا كثيرة انك تشفق عليَّ وانا الآن اشفق عليك انت الذي قلت قد الزمني الشعب فان كلامك هذا ليس كلام ملك اما انا فلا انت ولا شعبك ولا احد يقدر ان يثني عزمي واني اعلم كيف اموت . وحيثما قال مات شهيدًا ولكن ليس حرقًا بل في السجن بعد ان حُبِسَ فيهِ نحو سنة . وهكذا انقضت حياة هذا الرجل الذي لا يضارعهُ احد في الهمة والاقدام والاستقامة

المرجان الاصطناعي * يُصطنَع المرجان اصطناعًا باذابة اربعة اجزاء من الرانيج الاصفر وجزء من الفرمليون (وهو نوع من الزنجفر)

مما يشهد لبراعة المصريين القدماء في تركيب الاطياب انهُ لا يزال بمدينة في بلاد الانكليز قارورة طيب من اطيابهم لا مثيل لها في قوة الرائحة مع ان لها ما بين اثني وثلاثة آلاف سنة

الراديومتر

ذكرنا في الوجه المئة والتسعين من المجلد الاوّل انهم اصطنعوا آلة دقيقة تُسمَّى الراديومتر اذا عرضت على الشمس تدور بحرارتها وقد ظنَّ بعضهم ان الذي يدير هذه الآلة هو النور فحسبوها آلة لوزن النور الآن رجلاً من العلماء المشاهير اسمهُ الدكتور فرنكلند صنع راديومترًا شديد الحساسة من الالومينوم فكان يدور بعد ان تتوارى الشمس في المغيب بنحو عشرين دقيقة . وكان يدور ايضًا كلما قُرِّب اليهِ شيء حار ولو في احلك الظلام . ثم وضعهُ في نور القمر فلم يدُر فجمع عليهِ

نور القمر بعدسية كبيرة حتى اجتمع فوقهُ مئة نور من نور القمر (اي كانت مساحة البؤرة جزءًا من مئة من سطح العدسية) فلم يذُر ولم يبدِ اد في حركة لان نور القمر خالٍ من الحرارة او يكاد يخلو منها. فثبت ان هذه الآلة تدور بالحرارة لا بالنور ولذلك تعليل فلسفي مقبول لا موضع له هنا

السمن ونوادر السمان

اختلف العلماء في سبب السمن فقال بعضهم سببهُ قوة زائدة في المعدة وسائر اعضاء الهضم على تحويل الاطعمة الى غذاء صالح لانماء الجسد. وقال آخرون هو من تغلُّب الطحال على غيرهِ من الاعضاء. وقال غيرهم هو من تراخي صاحبهِ وتكاسلهِ بحيث ترتخي الياف لحمهِ فينتج ذلك للسمن بابًا. ولعلَّ القولين الاوَّل والاخير اقرب الى الصواب فانك قلما ترى السمن في من ينهك جسدهُ وعقلهُ بالاتعاب الشاقة والمباحث العسرة او من يقتصد بل يقتر على نفسهِ في المآكل والمشرب

على انهُ مهما كان سبب السمن فهو عبارة عن ازدياد الدهن في الانسان لا ازدياد العضل وكبر العظم فيهِ كما يزعم كثيرون. اما الدهن فهو كدهن سائر الحيوانات ويمكن ان يستعمل كاستعمالهِ فقد روى بعض من يوثق بكلامهِ ان رجلاً شماعًا ارلانديًّا كان يصطنع شمعهُ من دهن عسكر الانكليز لما غزوا ارلاندا في ايام كرمول وان شمعهُ كان عاليًا في جنسهِ رفيعًا في سعرهِ رائجًا بين الاهالي فلما رجع الانكليز عنهم واعوز الشماع دهنهم كسدَت بضاعتهُ وقلَّ عند الناس اعتبارها. فاتاهُ رجل ذات يوم يطعن فيها ويشكو من سوء نصرفهِ فقال لهُ اعذرني يا صاح فما بقي لي سبيل الى دهن الانكليز

هذا ولا ريب ان للطعام علاقة شديدة بالسمن وان ظهر في بعض الناس ما يخالف ذلك. وقد وصفوا لاعتدال ابدان السمان ان يقللوا النوم والمآكل المغذية ويكثروا الشغل والعمل. ولشرب الحوامض فعل عظيم في تقليل السمن ولكنها مضرة بالجسد. رُوي ان جنرالاً اسبانيوليًّا سمينًا ادمن شرب الخمر بافراط فلم يضرهِ عليهِ كثيرًا حتى دقَّ جسدهُ كثيرًا وارتخى جلدهُ عليهِ الى الغاية فكان اذا امسك جلد صدرهِ مثلاً وسطهُ يلتفُّ حولهُ حتى يطوي بعضهُ على بعض. وقيل ان للصابون ايضًا تاثيرًا قويًّا في السمان. امتحنهُ بعض الاطباء في رجل سمين وزنهُ ستة وخمسون رطلاً ونيف فنقص نحو رطلين وثماني اواقٍ في سنتين ولم تكمل ست سنوات حتى صار معتدل الوزن. وكان يتناول كل ليلة ثلاثة دراهم من الصابون. غير ان هذه كلها قليلة الفائدة بليغة الضرر فالابتلاء بالسمن خيرٌ من الابتلاء بها وافضل الامور ان يجدَّ الانسان في عملهِ ويقلَّل من المآكل والمشرب فان كثيرين من السمان ان لم يكونوا نهمين في الطعام فهم شرهون في الشراب. وليكن ذلك كلهُ بترتيب لئلاَّ يسقم البدن

قيل ان بعض القدماء كانوا ينفون من السمن ويسخرون بالسمان وكان بعضهم يستنكر السمن كما تُستنكر اكبر النقائص في ايامنا. فكان من عوائد بعض قبائل الهنود ان يدخلوا بيوتهم من

تثوب في سطوحها فاذا لم يستطع سمين ان يدخل منها اتهموهُ باكبر الاوزار وحسبوهُ من الخطاة البغاة الذين لا يقدرون على الامتناع من مآثمهم . وقبل ان ملكًا من ملوك الشرق اقام على جيشهِ قائدًا يعطيهم الجراية واوصاهُ ان ينقص من جراية السمان لعلهُ يردهم الى الاعتدال فلا يعاب جيشهُ . وكان الرومانيون يبغضون من السمن نفورًا شديدًا ويجوعون بنانهم لتصير اجسادهنَّ نحيفة ويرقنَ في عيون الطلاب . وكان بين الانكليز رجلٌ عظيم كثير السمن فلما مات كتب بعضهم على قبرهِ ما معناهُ

يا دائمًا ولم يخفّف وطأهُ ركبتَ اثمًا فاطلبنَّ المغفره
ألا ترى ان الذي قد دسنهُ شحمٌ ولحمٌ يلأن المقبره

ومات بينهم شمّاع وكان سمينًا فرثاهُ آخر بقولهِ ما معناهُ

صاح اعتبر فيها الى التربِ وَرَد من عاش في الشحمِ وفي الدهن رَقَد

اشار الى حرفتهِ وسمنهِ . وكان ملك فرنسا لويس الرابع عشر جالسًا ذات يوم مع بعض كبرائهِ وكان بينهم اثنان نسيبان ومشهوران بالسمن فقال الملك لاحدهما مازحًا اظنك لا تروّض جسدك فقال العفو يا مولاي وما اعظم من هذه الرياضة اني اصبح كل يوم فادور حول نسيبي مرتين او ثلاثًا اذا لم يمكني التعب

وكان بعض القدماء يكرهون نحافة الجسم ويستحسنون السمن ويبذلون الجهد في الحصول عليهِ حتى ان كثيرات من بنانهم كنَّ يحرمنَ من الزواج لنحافة اجسادهنَّ

وقد عثرنا على قائمة جمعها بعض مشاهير اطباء الانكليز وهي تشتمل على جملة اشخاص من الذين اشتهروا بالسمن بينهم . فمنهم رجل كان وزنهُ ٤٠٠ اقة وهو من اشهر من اشتهر بالسمن . وآخر كان وزنهُ عند موتهِ مع وزن تابوتهِ نحو ٣٩٠ اقة وعمرهُ اثنتان وخمسون سنة . والارجح انهُ كان في ايام شبابهِ اثقل من ذلك لاسباب ظاهرة . وآخر محيط خصرهِ نحو ١٧ اذرع وثقلهُ ٣٢٤ اقة وانتضى لحملهِ الى قبرهِ ستة عشر رجلاً قويًّا . وآخر عرض ظهرهِ من نهاية كتف الى نهاية اخرى اربع اقدام وربع وكان ثقلهُ قبل موتهِ بيسير ٣٤٠ اقة . وآخر مات وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة وثقلهُ ٣١٨ اقة وكان يأكل ٦ اقات من لحم البقر يوميًّا . وآخر ثقلهُ ١٤٨ اقة وكان وهو ابن اثنتي عشرة سنة بقدر ما كان عند موتهِ . ولما كان ابن سنتين لم يستطع على رفعهِ من سريرهِ الاَّ مرضعتان وغضب يومًا وهو رضيع فضرب مرضعتهُ ضربةً القاها بها على الارض مغشيًّا عليها . وآخر ثقلهُ ١٤٤ اقة . وكانت كل فردة من جواربهِ كعدل تبن من الصوف نحو مدّين . وآخر ثقلهُ ١٩٢ اقة ونيف وكان يأكل كتف خروف مطبوخة وحدهُ الاَّ انهُ اقتصر سنة كاملة على اكل الخبز الاسمر ومرق اللحم فنقص وزنهُ اكثر من ٥٢ اقة